الفصل الأول

التنجيم من البداية حتى اليوم

بداية التنجيم

النظر إلى السماء طبيعة فطرية منذ أن خلق الله الإنسان وحتى وقتنا الحالى ، ويقص علينا المولى تبارك وتعالى قصة نظر إبراهيم ـ عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ـ إلى السماء ، وكيف كان ذلك مقدمة إلى أن يُنَبِّه فطرة الإيمان إلى الخالق جل وعلا ، فيقول :

﴿ وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إنى أراك وقومك فى ضلال مبين * وكذلك نُرى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين * فلما جَنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربى فلما أفَلَ قال لا أحب الأفلين * فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفَلَت قال ياقوم إنى برىء مما تشركون * إنى وجهت وجهى للذى فطر السماوات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين ﴾[1] .

◄ ويقول الأستاذ/محمد العزب موسى :

« ربما يكون التنجيم هو أقدم « علم » ـ إن جازَ لنا أن نسميه

---

(١) الأنعام : ٧٤ ـ ٧٩ .

علماً ـ فى التاريخ ، منذ فجر البشرية أخذ الإنسان يتطلع إلى السماء اعتقاداً منه بأن النجوم آلهة أو أرواح آلهة لها تأثير على البشر ، وقد اكتشف الأثريون مؤخراً قطعة من العظم عمرها أكثر من ٣٠ ألف سنة تحمل علامات يبدو أنها تشير إلى منازل القمر .

وأقام أبناء الحضارات القديمة فى آسيا وأوروبا وأمريكا أبراجاً عالية يستخدمها الكهنة كمراصد لمتابعة حركة النجوم والتنقيب فى السماء عن مفاتيح المصير البشرى .

ولكن التنجيم بلغ شأواً كبيراً فى بلاد ما بين النهرين حيث السماء الصافية بلا سُحب تبدو فيها ملايين النجوم بوضوح ، ومنذ خمسة آلاف سنة كان كهنة بابل يدرسون النجوم ويطلقون عليها الأسماء ، وما أن حل القرن السابع قبل الميلاد حتى كان الكهنة أو المنجمون البابليون قد اكتشفوا بالفعل ١٢ برجاً فى السماء هى نفسها التى نعرفها الآن وسموها بأسمائها وعزوا إليها خصائص طيبة أو شريرة .

وانتشر التنجيم من بابل إلى مصر وبلاد الإغريق .. ولكن مصر القديمة لم تبد اهتماماً كبيراً بالتنجيم ـ أى بمعرفة أثر النجوم فى الحياة البشرية ـ وكانت أكثر اهتماماً بالفلك ، أى برصد حركة النجوم لاستخدامها فى بناء المنشآت الهندسية والمعمارية ووضع التقويم ، وهكذا كانت مصر مهداً لعلم الفلك كما كانت بابل مهداً لفن التنجيم .

أما فى بلاد الإغريق فقد تطور التنجيم كما نعرفه الآن ، فقد زاوج الإغريق بين الأجرام السماوية وآلهتهم ، كوكب الزهرة مثلاً يرمز إلى

« أفروديت » ربة الحب والجمال ـ عندهم ـ، والمشترى يرمز إلى زيوس كبير الآلهة ويدل على الخير ، بينما المريخ يرمز إلى مارس إلٰه الحرب ويدل على القتال والشر والنكبات .

وصنع الإغريق اسطرلابات[1] شخصية ، واعتمدوا فى فن التنجيم على خبرة البابليين حتى إنهم استقدموا مُنَجِّمَاً بابلياً أقام مدرسة للتنجيم فى جزيرة « كوس » اليونانية عام ٢٨٠ قبل الميلاد ، تتلمذ فيها عدد كبير من شباب المنجمين الإغريق .

وابتداءً من عام ٢٠٠ ق. م أخذت تظهر مؤلفات إغريقية فى التنجيم ، ثم بلغ التنجيم ذروته على يدى العالم الإغريقى السكندرى « **كلوديوس بطليموس** » فى القرن الثانى الميلادى ، ويعتبر بطليموس أعظم فلكى فى العصور القديمة .

وقد ظلت خرائط بطليموس وجداوله عن النجوم والكواكب وحركتها فى قبة السماء لا تضاهى من حيث الدقة حتى القرن السابع عشر الميلادى ، وظل كتابه فى التنجيم أهم كتب الفلك على الإطلاق فى العصور القديمة ، وفى هذا الكتاب بعض الأساسيات التى قام عليها علم الفلك الحديث .

---

(١) الاسطرلاب آلة ذو تدريج خاص تستخدم فى الفلك ، وقد صنع العرب اسطرلاباً ولم يكن أداة فلكية فحسب بل كان عملاً فنياً ودقيقاً ، وللاسطرلاب نحو ألف طريقة للاستعمال فى مجال القياسات الفلكية فهو يستخدم لقياس الحركات السماوية ، ولضبط الوقت ولقياس ارتفاع الجبال ... إلخ . ولايزال يستخدم فى بعض المراصد فى أوروبا حتى الآن . **(شكل رقم ١ فى ملاحق الكتاب)** .

وفى زمن « بطليموس » نفت التنجيم اهتمام الرومان ، أغنياء وفقراء ، وأحرار وعسد ، فاعترفوا به وآمنوا بقدرة النجوم على التأثير فى مصائرهم !!!!، وكان الإمبراطور « أغسطس » أول أباطرة الدولة الرومانية يؤمن بالتنجيم إيماناً كاملاً ، ويبدو أن السبب فى ذلك أن أحد المنجمين تنبأ ساعة مولده بأنه سيصبح « سيد العالم » ، وكان أغسطس يضع علامة برجه « الجدى » على العُملة التى يصدرها .

وكان أشد معارضى التنجيم فى العصور القديمة المسيحيين الأوائل الذين رأوا فيه وثنية وقدرية يرفضهما الدين ، فإن مصير الإنسان حسب ما يقوله المنجمون محدد ساعة مولده وعلى ذلك لا يستطيع أن يغيره ويخلص نفسه بالعبادة ، وفى البداية لم تكن لمعارضة المسيحيين أهمية كبيرة لأنهم كانوا قلة مطاردة ، ولكن فى القرن الرابع الميلادى حين اشتد ساعد المسيحيين أصبحت المسيحية هى الدين الرسمى للدولة ، وطورد المنجمون بشدة ، وحِرِّمَت فنونهم وممارساتهم ، وعند سقوط روما فى أيدى البرابرة عام ٤١٠ م لم يكن فى النصف الغربى من الإمبراطورية أحد يعرف هذا العلم القديم »[1] .

التنجيم عند العرب والأوربيين :

ولكن التنجيم عاش فى النصف الشرقى ، أى فى الإمبراطورية البيزنطية ، حيث حفظت كتابات ووسائل هذا الفن القديم ، وانتقلت من هناك إلى أيدى العرب ، وقام علماء العرب بدراسات جادة فى التنجيم وطوروه كما فعل المصريون القدماء فى علم الفلك ، وأضافوا

---

(١) حقائق وغرائب : ١٣٥ ـ ١٣٦ .

الكثير إلى أعمال الإغريق القدامى فى هذا الشأن ، واهتموا بشكل خاص بمنازل القمر ، لأن التقويم الإسلامى تقويم قمرى يعتمد على دورة القمر لمعرفة الشهور وتحديد المناسبات الإسلامية الهامة ، وصنع العرب اسطرلابات دقيقة لحساب حركة النجوم فى السماء (**انظر شكل رقم ١ بملاحق الكتاب**) ، وقد تُرجمت النصوص الفلكية العربية إلى اللاتينية[1] بواسطة العلماء الأوربيين فى القرن الثانى عشر الميلادى فأُعيد اكتشاف التنجيم القديم .

وما أن حل القرن السادس عشر الميلادى حتى عاد التنجيم فى أوروبا إلى سطوته القديمة وأصبح جزءاً لا يتجزأ من الثقافة العامة لكل متعلم ، وكان الفلكيون العظام فى أوروبا خلال القرنين ١٦ ، ١٧ من أمثال «**جوهانز كبلر**» يمارسون التنجيم ويقرأون الطالع للملوك والنبلاء ، وكان كل ملك أو نبيل لديه فلكى أو منجم فى بلاطِه يعطيه النصائح فى شئون الحكم ، لقد أصبح التنجيم فى هذهِ الفترة هو «ملك العلوم» .

ولعب المنجمون دوراً بارزاً فى الحروب الأوروبية خلال القرن السابع عشر ، كانوا أشبه بخبراء الحرب النفسية فى الوقت الحاضر ،

---

(١) ارتبط كثير من الاكتشافات الفلكية بالعرب ، وإليهم يرجع الفضل فى رصد كثير من نجوم السماء ، وإطلاق الأسماء العربية عليها ، ومازالت الحضارة الأوروبية بشتى لغاتها تردد هذه الأسماء بنطقها العربى مع بعض التحريف فى النطق ، ومن أشهر الأسماء العربية للنجوم التى لم ينلها هذا التحريف : آخر النهر ـ الغول ـ الغراب ـ الكأس ـ الطرف ـ الفرس ـ ابط الجوزاء ـ قيطس ـ الذنب ـ الدب ـ الراعى ـ مركب ـ قوس ـ صدر ـ عنق الحية ـ الزبان الحبوب ـ سهيل ـ سبيكة ـ ثعبان ـ منقار ـ سيف .

يطلقون النبوءات لرفع معنويات الجانب الذى يناصرونه والهبوط بمعنويات الجانب الآخر .

ولكن إخضاع التنجيم للسياسة على هذا النحو أضر بسمعة هذا الفن الغامض ، وبدأ العقلاء يفكرون أنه إذا كان المنجمون يصلون إلى نتائج متناقضة إنطلاقاً من نفس المعلومات ـ أى أوضاع الشمس والقمر والكواكب فى قبة السماء ـ فلا بد أن يكون ما يقولونه ليس علماً جديراً بالاحترام .

وما أن حل القرن الثامن عشر حتى بدأ التنجيم يتحول إلى الشعوذة والخرافة ، فصار المنجمون الأوربيون ـ كما يفعل نظائرهم فى الشرق ـ يطلقون البخور ويقرأون الطالع عن طريق ورق « الكوتشينة » وعمل الأحجبة والطلاسم التى تجلب حسن الحظ .. لقد انهار التنجيم ليحل محله علم الفلك الجديد .

وبالرغم من ذلك ظل التنجيم خلال القرنين ١٨ و ١٩ يحوز اهتمام كثير من الناس فى أوروبا وأمريكا ، ثم انتعش مرة أخرى فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر على يد مدام «**بلافتسكى**» والجمعية «**الثيوصوفية**» التى أنشأتها عام ١٨٧٥ م واجتذبت كثيراً من المتنبئين والروحيين والمنجمين الهنود الذين غزوا العقل الغربى « بحكمة الشرق القديمة » ، ومازالوا يفعلون .

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية ارتفع شأن التنجيم ارتفاعاً كبيراً ، وانتشر فى جميع أنحاء العالم[1] .

---

(١) المصدر السابق ١٣٧ ـ ١٣٩ (بتصرف) .

◄ ملحوظة عن التنجيم فى الهند والصين :

إن رموز التنجيم المستخدمة فى الهند لدى المنجمين الهنود ، هى نفس الرموز المستخدمة فى الغرب بالرغم من اختلاف طريقة الإحصاء ، ويلعب التنجيم فى الهند دوراً أكبر مما يلعبه فى الدول الغربية ، فكثير من الزيجات والصفقات والأعمال التجارية لا تتم إلا بعد استشارة المنجمين .

أما فى الصين فبالرغم من أن أهداف المنجم الصينى هى تقريباً نفس أهداف المنجم الغربى أو الهندى ، فإن المنهج المتبع مختلف تماماً ، إذ أن المنجمين الصينين لا يستخدمون النظام الذى يقسم المجموعة الفلكية إلى ١٢ قسماً ، ولديهم نظام يعتمد على وصف كل سنة بحيوان معين ، فكان عام ١٩٨١ هو عام القرد ، وقبله عام الجدى ، وعام ١٩٨٢م هو عام الديك ، ويعتمدون فى رسم شخصية الإنسان الذى ولد فى عام الديك مثلاً على صفات الديك ، فيقولون أن هذا الإنسان مغرور يميل إلى مهاجمة الآخرين ، وهو أنشط ما يكون عند الفجر وفى الحفلات ، أما الإنسان الذى ولد فى عام القرد فيتميز بالأنانية والسطحية ، أما الذين ولدوا فى عام الجدى فلهم نزوات غريبة ويدفعون من يخالطهم إلى إدمان الشراب .

ولله فى خلقه شؤون .

◄ نبذة عن التنجيم والمنجمين فى ألمانيا الغربية (كمثال للتنجيم فى الوقت الحاضر) :

اتسعت حرفة التنجيم فى ألمانيا الغربية عام ١٩٨٢م بشكل لم تشهده من ذى قبل ، حتى فى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الأولى

والثانية ، كما ازدهرت التجارة المرتبطة بهذه البدعة ، لتشمل افتتاح معاهد ومدارس خاصة ، ونشر مئات من الكتب والمجلات والمفكرات المتخصصة فى هذا المجال بكميات هائلة .

ونتيجة لإقبال الناس الهائل على المنجمين فقد ازداد عدد الذين يمتهنون التنجيم بحيث وصل إلى أكثر من ٤ آلاف مُنَجِّم عام ١٩٨١ أى ضعف ما كان عليه العدد قبل سنتين

أما نسبة الألمان الذين يؤمنون بهذه الأشياء ويقرأون عنها باستمرار فقد بلغت ٥٤٪ من الشعب الألمانى الغربى ، أى بزيادة ١٠٪ عما كانت عليه قبل سبع سنوات ، والكثير من هؤلاء يؤمن أن الشمس والقمر والنجوم هى التى تتحكم بمصائر البشر !!!!، ويؤمنون كذلك بأنه لابد من البحث عن تفسيرات تتعلق بكل منها ، ولهذا فهم يذهبون لمراجعة المنجمين لإعطائهم الإسعافات اللازمة لهم فى مجاراة هذه الحياة الغامضة .

ويقوم المنجم برسم مخططات الأبراج وتجمعات النجوم وحركتها ، وإعطاء تفسيرات لها ويتقاضى مقابل ذلك أجراً حسب إمكانيات المُراجع (الزبون) .

إن الهوس التنجيمى ـ فى ألمانيا الغربية ـ بدأ ينخر أعماق الناس ، وهذا ما بدأت وسائل الإعلام تدركه وتتعامل معه ، ولو صادف أن نسيت إحدى الصحف نشر أبراج الحظ والنجوم فى أحد الأيام فإن أبواب الجحيم تنفتح عليها من القراء ، الذين ينهالون بالشتائم عبر التليفون ، ويبدأون بالتخبيط فى كل اتجاه ، لا يدرون ماذا يجب عليهم أن يفعلوا فى مثل يوم النحس هذا ؟! أيبقون فى المنزل ؟! أم يذهبون للنزهة ؟! ، هل يجب عليهم استثمار أموالهم ؟؟ أين وكيف ؟؟؟

◄ أين الحقيقة ؟

يقول الأستاذ محمد العزب موسى : إن الإنسان فُتِنَ من قديم الزمان بنجوم السماء ، هذه النجوم اللامعة ، بلا عدد ، التى تعتلى قبة السماء كل ليلة ، وتلقى بسهامها الماسية إلى الأرض حيث تتلقاها عيون الإنسان .. إنسان الكهوف والحضارات الأولى ، فتخطف بصره إليها ، وترغمه على التفكير فيها .. ترى ما هى هذه النجوم الغامضة الجميلة التى تتلألأ فى ظلال زرقاء وحمراء وصفراء وماسية ؟ من الذى صنعها ووضعها فى هذا المكان ؟ كيف ولماذا تتحرك وتتبادل مواقعها ؟ ، وما علاقتها بالإنسان أو ما علاقته بها ؟

وكما أدت مراقبة النجوم والافتتان بها إلى نشأة الوجدان الدينى لدى الإنسان القديم ، فقد أدت كذلك إلى نشأة التنجيم ، الذى يبحث فى تأثير النجوم فى الإنسان والذى تطور فى العصور الحديثة إلى علم الفلك .

لقد ظن الإنسان القديم بفطرته أن النجوم تحدد مصائر البشر ! فما دامت هذه النجوم آلهة أو أرواح آلهة ـ كما كان يعتقد ـ فلا بد أن تؤثر فى مصير العباد ، وأنه يستطيع بقراءة صفحة السماء أن يتنبأ بمصيره ومستقبله ... هل يمكن ذلك حقاً ؟!

وعلى طول العصور لم يخفض الإنسان عينه من السماء وبلغ التنجيم شأناً رفيعاً لدى الحضارات الأولى ، وبالذات فى أيام البابليين الذين علموا العالم كله فنون العرافة والتنجيم ، ولم يزل التنجيم يكتسب الأنصار حتى اليوم ، بل ربما يكون أنصاره اليوم أكثر بما لا يُقاس من أنصاره فى أى وقت مضى .

فهل يمكن أن يكون للتنجيم مكان فى عالمنا العقلانى المعاصر ، ما هى حقيقة علاقتنا بالنجوم ؟؟ وهل التنجيم أصلاً حقيقة أم زيف ؟؟

إن هذا الفن الذى ازدهر فى الماضى وحورب بشدة من العلم الحديث ، وأُلقى به فى دائرة الخرافة والدجل عاد فى القرن العشرين يفرض وجوده وسيطرته ، إن لم يكن على الدوائر العلمية بعد ، فعلى بلايين البشر فى الشرق والغرب !!!

وهناك حكومات ودول فى آسيا لا تزال تعترف رسمياً بالتنجيم حتى الآن ، ومنها « نيبال » و « بورما » و « سريلانكا » و « سيكيم » ، ولاتزال - حكومات هذه الدول تلجأ للمنجمين فى تحديد المناسبات الهامة كأيام التتويج ، وزواج الأمراء ، وتوقيع الاتفاقيات ، وقد كان « جواهر لال نهرو » رئيس وزراء الهند من أشد المؤمنين بالتنجيم رغم عقليته العلمية وأفقه الواسع ، وكان هتلر أيضاً وهو زعيم واحدة من أرقى الدول الأوربية شديد الإيمان بالعرافة والتنجيم والتطير ، وسمح لهذه الخزعبلات التى يرفضها روح العصر ، أن تلعب دوراً هاماً فى كثير من القرارات الخطيرة فى السياسة والحرب .

وليس التنجيم فقط هو الذى يثير اهتمام الناس ، وإنما قراءة الطالع بوجه عام .

وليس الشرقيون فقط الذين يؤمنون بالتنجيم وقراءة الطالع وغير ذلك من فنون استشراف الغيب ، بل إن الغربيين أصبحوا أشد اهتماماً بذلك الآن ، ولم يشهد العالم الغربى منذ القرن السابع عشر اهتماماً

بالتنجيم والعرافة كالذى يشهده اليوم ، وفى كل مدينة أو قرية أوروبية أو أمريكية ينتشر المنجمون المحترفون بالعشرات والمئات بالإضافة إلى آلاف غيرهم من الهواة ، وتنشر مئات الصحف والمجلات تنبؤات فلكية كل يوم يتابعها ملايين الناس حتى من لا يأخذ منهم إرشاداتها مأخذاً جدياً ، وأصبحت أسماء البروج والأفلاك من الكلمات الشائعة على كل لسان ، بل لا تجد أحداً ذكراً كان أو أنثى لا يعرف اسم برجه والصفات العامة للشخصية التى تندرج تحت ذلك البرج .

ويعتمد التنجيم على الاعتقاد بوجود علاقة بين الأجسام السماوية والأجسام البشرية ، وأن هذه العلاقة يمكن فهمها وتفسيرها ، فأوضاع النجوم فى السماء ساعة ميلاد الطفل تحدد شخصيته ومصيره ، والنجوم تؤثر فى وقع الحياة الإنسانية ، فكل شىء فى الأرض يتأثر بالظروف الكونية التى تدل عليها النجوم بما فى ذلك الحروب والمجاعات والكوارث والأحداث السعيدة على السواء !!!!!

فهل يمكن أن يقبل العلم الحديث فكرة تأثير الكون فى الشئون البشرية ؟! أم أن هذا الاهتمام المفاجىء بتأثير النجوم فى الإنسان مجرد انعكاس للأزمنة المضطربة التى نعيشها اليوم ؟؟!! وسوف يخفت مرة أخرى إذا أصبح مستقبل البشرية أكثر استقراراً ؟؟[1] ا. هـ .

وهذا موضوع فصل قادم ضمن كتابنا هذا ـ إن شاء الله تعالى ·وعنوانه « التنجيم فى ميزان العلم الحديث » .

■□■□■□■

(١) المصدر السابق [ص/١٢٩ ـ ١٣٢] بتصرف .